

الحديث 1 : إذا فسد أهل الشام

الحديث الأول :

- (وقال الإمام أحمد - رحمه الله - (ج 5 ص 34) : ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني معاوية بن قررة عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، ولن تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة " . هذا حديث صحيح ، وقد أخرجه الترمذي .

- وقال الإمام أحمد - رحمه الله - (ج 5 ص 35) : ثنا يزيد أنا شعبة ، به .

- وقال أبو بكر بن أبي شيبة - رحمه الله - (ج 12 ص 191) : حدثنا يزيد بن هارون عن شعبة عن معاوية بن قررة عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم " .

والطائفة المنصورة ، قد قال البخاري - رحمه الله - : إنهم أهل العلم . وقال الإمام أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث ، فلا أدري من هم . والحديث وإن لم يكن نصاً على ما قاله الإمام البخاري والإمام أحمد ، فإن أهل الحديث داخلون دخولاً أولياً ؛ لثباتهم على الحق ، وخدمتهم الإسلام والذب عنه ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

الشرح :

الفساد معروف ، وهو ضد الصلاح ، والمراد بالفساد فساد الدين ، بدليل آخر الحديث ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم فساد أهل الشام علامة على فساد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه بين أن هذا الفساد ليس عاماً ، بل ستبقى جماعة من أمتة على الحق إلى قيام الساعة . والمراد بالشام هنا ما يسمّى اليوم بالأردن وفلسطين وسوريا ولبنان ، مع اختلاف يسير في حدود هذه الدول مع الدول المجاورة لها .

والطائفة المنصورة : هم أهل الحديث كما نصّ على ذلك غير واحد من علماء السلف - رضي الله عنهم - منهم يزيد بن هارون ، وعبد الله بن المبارك ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن حنبل . ذكرهم الخطيب البغدادي في " شرف أصحاب الحديث " (1) . أما البخاري فقال مرة " أهل العلم " (2) ، ومرة قال : " أهل الحديث " (3) ولاتعارض بين قوليه ؛ فأهل العلم في زمنه هم أهل الحديث كما أشار إلى ذلك في كتابه " خلق أفعال العباد " (ص 60 - 61 ، المعارف) . والمراد بأهل الحديث : علماء السلف المختصون بالحديث تعليماً وتعليماً ، الذين كانوا على منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يغيروا ولم يبدلوا . وقد ذكر جماعة منهم الإمام البخاري في " خلق أفعال العباد " (ص 61 ، المعارف) ، ويدخل في ذلك كل من كان على منهجهم وعقيدتهم . وظهورهم يكون بالحجة والبرهان ، وقمع شبهات أهل الكفر والنفاق والبدع ، يدل على ذلك وصفهم بالعلم ، وبأهل الحديث . وهو أحد الجهادين اللذين شرعهما الله - تبارك وتعالى . - ولا يصح أن يفهم هذا الحديث على معنى الظهور بالسيف ؛ فإن ظهورهم على الناس بالسيف يقتضي إصلاح الناس ، وقمع الفساد ، وإشارة الحديث تدل على أنهم غير قادرين على ذلك في بداية الأمر ، وتفسير العلماء لمعنى هذه الطائفة لا يساعد على هذا المعنى ، علماً أنه لا يمنع ذلك ظهورهم بالسيف في بعض الأحيان ؛ إذا توقّرت أسبابه ودواعيه والقدرة عليه . ولكن الأصل الدائم هو ظهورهم بالحجة والبيان ، كما هو الحال في هذا الزمان . وفي رواية عند مسلم في " صحيحه " (4) عن سعد بن أبي وقاص : " لا يزال أهل الغرب " . والراجح من كلام أهل العلم أن المراد بأهل الغرب هم أهل الشام ، والذي جعلنا نرجح هذا القول دون غيره ؛ أنه قول معاذ بن جبل الصحابي الجليل ، والصحابة أعلم بمراد النبي صلى الله عليه وسلم ، وخاصة إذا كان الصحابي راوي الحديث ، وهو قول الإمام أحمد واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله . والمراد من ذلك - والله أعلم - : أن الطائفة المنصورة عند فساد الناس لا ينقطع وجودها وظهورها في بلاد الشام ، ولا يعني ذلك أنهم لا يوجدون في بلاد أخرى . وفي الحديث إشارة إلى أنه سيبقى في الناس من يخالفهم ويحاربهم ، ومن يخذلهم ولا ينصرهم ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بشرهم بأنهم دائماً منصورون معانون من الله تبارك وتعالى .

وفي الحديث دلائل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم :

الدليل الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما تحدث بهذا الحديث كان أهل الشام كفاراً ، والكفر أكبر أنواع الفساد ، ففي هذا الحديث إشارة إلى أنهم سيدخلون في دين الله ويصلحون بعد فسادهم ، وقد حصل ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم .

الدليل الثاني : إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفسد بعد صلاحها ، وسيكون آخر الناس فساداً أهل الشام ، وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم تمام الوقوع .

الدليل الثالث : إخباره صلى الله عليه وسلم أن دين الله الذي أتى به سيبقى قائماً بقيام الطائفة المنصورة به ، وبالحفاظ عليه ، والذب عنه ، وتنقيته من شوائب الشرك والبدع . وهذا هو الواقع ؛ ففي وقت صلاح الناس ، كان الدين قوياً منيعاً عند أكثرهم ، وبعد فسادهم وكثرة أهل الشقاق والبدع بينهم ، بقي فيهم طائفة تدافع وتذب عنه ، وتصفي الشوائب التي تعلق به .

ولا أعلم طائفة اليوم تقوم بواجب تصفية الدين من الشرك والبدع والخرافات وآراء الرجال البعيدة عن الكتاب والسنة ، ونصح المسلمين بالتمسك بهما ، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان ؛ والبعد عن الحزبية وتفريق الأمة ؛ كالعلماء وطلبة العلم الذين هم على منهج أهل الحديث وعقيدتهم وعلى منهج سلف هذه الأمة وعلى رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ؛ مثل :

الشيخ عبد العزيز بن باز ،

والشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،

والشيخ محمد بن صالح العثيمين ،

والشيخ مقبل بن هادي الوادعي ،

وغيرهم من علماء المسلمين الذين على منهج أهل الحديث الذي كان عليه الإمام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . ولا يخلو إنسان من خطأ ، فإياك أن تتخذ زلتهم سلماً للتعن فيهم قبل أن تنظر إلى ما قدموه للإسلام والمسلمين . ومن تأمل في كتابات هؤلاء العلماء وأشرطتهم ودروسهم ؛ وجد أنها تقوم على تعليق الناس بالكتاب والسنة ، وتقديمها على كل ما سواهما ، واتباع المنهج الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، ووجد أنهم يحذرون ويتكلمون فيمن وجدوا في كلامه ما يهدم أصلاً من أصول الإسلام أو يخالف دليلاً واضحاً من الكتاب والسنة (5) ، وما ذلك منهم إلا لحرصهم على بقاء الإسلام صافياً نقياً لا يدخله خلل ولا زيغ . فلو أنهم سكتوا وسكت غيرهم لضاعت أصول دين الإسلام وأحكامه بين هوى فلان وخطأ الآخر ، فجزى الله خيراً علماءنا الأفاضل على ما أدوا من واجب النصح لكتاب الله ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ومراد شيخنا من ذكر هذا الحديث في هذا الباب ؛ بيان فضيلة أهل العلم من أهل السنة والجماعة على غيرهم من الناس ؛ إذ إنهم أصل الطائفة المنصورة التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأي فضل خير من التمسك بالدين والحفاظ عليه ، وهو عمل الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم . كما نبه على ذلك في آخر كلامه - رحمه الله .

رجال الإسناد الأول :

• **يحيى بن سعيد :** هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ . ثقة ثبت إمام كبير حافظ ، علم من أعلام أهل الحديث ، من رجال الجرح والتعديل ، لا يروي إلا عن ثقة . قال الإمام الذهبي : " إلا أنه متعنت في نقد الرجال ، فإذا رأيته قد وثق شيخاً ، فاعتمد عليه ، أما إذا لئى أحداً ، فتأن في أمره حتى ترى قول غيره فيه ، فقد لئى مثل : إسرائيل ، وهمام ، وجماعة احتج بهم الشيخان " (6) .

• **شعبة :** هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي ، أبو بسطام الواسطي البصري . ثقة ثبت إمام كبير حافظ ، علم من أعلام أهل الحديث ، من رجال الجرح والتعديل .

• **معاوية بن قرة :** هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رثاب المزني ، أبو إياس البصري والد إياس بن معاوية ، تابعي روى عن جماعة من الصحابة . ثقة .

·**والد معاوية** : هو قرة بن إياس بن هلال بن رثاب المزني ، أبو معاوية . قال الإمام البخاري وابن السكن : " له صحبة " (7).

رجال الإسناد الثاني الذين لم يذكروا في الإسناد الأول :

·**يزيد بن هارون** : هو يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولاهم ، أبو خالد الواسطي . ثقة حافظ متقن عابد .

تابع يزيد وغيره يحيى بن سعيد على رواية هذا الحديث عن شعبة ، ولم يتفرّد به شعبة عن معاوية ، فقد تابعه عليه إياس بن معاوية فرواه عن أبيه ، أخرجه أبو نعيم في " الحلية -7/230 " (231 ، الكتاب العربي) ، فقال : " مشهور من حديث إياس ، غريب من حديث مسعر " .

وتابعه صدقة بن المنتصر أبو شعبة الشعباني عند الفسوي في " المعرفة والتاريخ " (2/170) ، وابن حبان في " الثقات " (8/319) . ولكن الإسماعيلي في " معجم أسامي شيوخه " (2/679 - العلوم والحكم) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في " تاريخه " (10/182) (8) رواه عن صدقة بن المنتصر عن شعبة عن معاوية ، فأدخل شعبة بين صدقة ومعاوية . والله أعلم .

وقد ادعى ابن عساكر في " تاريخه " (1/307) أن شعبة تفرّد به بعد أن ساق له عدّة طرق ، وهو مردود بكلام أبي نعيم المتقدم . وعلى كل حال ؛ فالحديث صحيح لا غبار عليه ، ولنشطه الأول شاهد من حديث ابن عمرو عند ابن عساكر (1/308) وغيره ، ولكنه حديث منكر ، خرج الشيخ الألباني في " الضعيفة " (6385) . وشطره الثاني له شواهد كثيرة ، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " الاقتضاء " (1/6 - السنة المحمدية) وغيره : إنه متواتر .

وحديث قرة ؛ صححه الترمذي ، وابن حبان ، والألباني - رحمهم الله . - والله أعلم

(1) - (ص 10 و 25 و 26 و 27 ، دار إحياء السنة النبوية) .

(2) - انظر " صحيح البخاري " (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (10) قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة .. " ، ص 1259 ، دار السلام .

(3) - انظر " شرف أصحاب الحديث " (ص 27 ، دار إحياء السنة) للخطيب البغدادي .

(4) - برقم : (1925) .

(5) - بضوابط معلومة ليس هذا موضع ذكرها .

(6) - " سير أعلام النبلاء " (9/183) .

(7) - " الإصابة في تمييز الصحابة " (5/433 - الجيل)

(8) - وأخرجه ابن عساكر (37/201) من غير طريق الإسماعيلي .